صورة الدم في الشعر الإسلامي والأموي "مقاربة فنية"

إعداد

مصطفى حافظ الصغير

ملخص الدّراسة:

تناولت هذه الدّراسة صورة الدّم عند شعراء العصر الإسلامي والأموي، وكان للمعارك الإسلامية والصّراع بين الكفر والإيمان وتأبين القتلى وشهداء المسلمين والأبناء والأحباب، والاصطراعات الحزبية لبني أمية أثر واضح في مجالات الصّورة الدّموية وموضوعاتها في شعر تلك الحقبة.

وقد عكست الصّورة بموضوعاتها المتنوعة من ندب وتأبين وحث على الثأر وفرح النّصر وحرارة اللوعة والألم والحزن العميق عند هؤلاء الشّعراء، واستثمرت هذه المشاعر والأحاسيس في تشّكيل الصّورة الدّموية وبنائها في شعر مرحلة صدر الإسلام وبني أمية.

وتنوعت المصادر التي نَهَلَ منها هؤلاء الشّعراء، وهي مصادر ذات صلة وثيقة بطبيعة الحياة من جهة، وموضوع الثأر من جهة أخرى، وجاءت المصادر مرتبة حسب ورودها في هذه الدّراسة على النّحو الآتي، الدّين، التّاريخ، الأسطورة والخرافة.

وظّف الشّعراء حواسهم في بناء صورهم، فكانت صورهم بنمط حسِّي من أشكالٍ بصرية تمثلت في اللون والحركة والسُّكون وأشكال سمعية ولمسيَّة وشميَّة وذوقيَّة، وقد استخدم هؤلاء الشّعراء أنماطًا كثيرة من التّشكلات الأسلوبية في بناء صورة الدّم، ومن أبرز هذه التشكلات: الصّورة الاستعارية، والتّناص والأساليب البلاغية، واللوحات الفنية المختلفة.

Abstract

This study dealt with the image of blood among the poets of the Islamic and Umayyad era, and the Islamic battles, the struggle between unbelief and faith, the memorial of the dead, martyrs of Muslims, children and loved ones, and partisan struggles for the establishment of illiteracy had a clear impact on the areas of the bloody picture and its topics in the poetry of that era.

The image reflected its various topics of scarred and memorial, and urged revenge, joy of victory, the heat of anguish, pain and deep sorrow for these poets, and these feelings and feelings were invested in shaping the bloody image and building it in the poetry of the era of Islam and the establishment of illiteracy.

And the sources varied from which these poets applauded, and they are sources closely related to the nature of life on the one hand, and the subject of revenge on the other hand.

Poets employed their senses in building their images, so their images were a sensual pattern of visual forms represented in color, movement, stillness, auditory, haptic, olfactory, and gustatory forms. These poets used many types of stylistic problems in building the image of blood. , And various art paintings.

الدّين مصدرًا من مصادر صورة الدّم في الشّعر الإسلامي والأموي:

يُشكل المصدر الديني جزءًا مهمًا من مصادر تشكل الصورة الشعرية، ينهل الشاعر من معينه الخصب، ما يعينه على رسم صوره، يمكن أن نقول : أن المصدر الديني هو الجسر الذي اعتمد عليه الشعراء لإكمال لوحاتهم الفنية الدموية في العصرين الإسلامي والأموي ، سواء فرحًا أو ترحًا .

ويرى عبد القادر الرباعي أن الرافد الديني هو جزء من ثقافة الشّاعر، وأن هذه الثّقافة تشكل عاملًا حيويًا في تكوين الشاعر العقلي والخيالي معًا. (١)

على أية حال استفاد شعراء العصرين الإسلامي والأموي في صورهم الدّموية من الدّين الإسلامي والمسيحي والتوراتي والحديث الشريف، في عدة محاور ترتبط- من بعيد أو قريب – بالدم، ومن بين هذه المحاور (الموت) وهو الموت المترتب على الشهادة، ليصبح الدم معادلًا موضوعيًا للشهادة، الموت/ الدم

والشهيد :المقتول في سبيل الله، والجمع شهداء، والاسم الشّهادة، واستشهد قتل شهيدًا وتشهد طلب الشهادة، وعن النّصر بن شميل في تفسير الشّهيد الذي يستشهد الحي، أي هو عند ربه حيّ. (٢) وسُمي الشهيد شهيدًا لأن الله وملائكته شهود له بالجنة.(٣)

وفي محكم التنزيل يقول الحق سبحانه وتعالى(**وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ .)**(٤)

وفي الحديث الشريف عن الشّهيد وفضل الشّهادة يقول صلى الله عليه وسلم (ما مِن عَبْدٍ يَمُوتُ، له عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ يَسُرُّهُ أنْ يَرْجِعَ إلى الدُّنْيا، وأنَّ له الدُّنْيا وما فيها،

---

(١) عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ، منشورات جامعة اليرموك ، الأردن ، ط ١ ، ١٩٨٠ م ، ص ٥٩.

(٢) لسان العرب ، مادة (شَهِدَ) ج ٤، ص ٢٥٥.

(٣)فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن البكري الرازي، التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) ، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ٢، ج ٩، ص ١٧.

(٤) آية ٦٩ ، سورة الزمر .

إِلَّا الشَّهِيدَ لِما يَرَى مِن فَضْلِ الشَّهادَةِ، فإنَّه يَسُرُّهُ أنْ يَرْجِعَ إلى الدُّنْيا، فيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى.)[١]

أمّا في الدّيانة المسيحية نجد أكثر الأحداث دموية تخدم البحث ما يتعلق بصلب السّيد المسيح ،والفداء، باعتباره رمزًا للألم الجسدي، فكان الدّم معادلًا موضوعيًا للصلب كما سنبين لاحقًا .

أمّا المحور الثاني في دموية المصدر الدّيني(قصص الأنبياء) ولعل أكثر القصص دموية جرت على لسان شعراء العصر الإسلامي والأموي والتي تخدم البحث(قابيل وهابيل، قصة عاد وثمود، إسماعيل الذّبيح عليه السلام، قميص يوسف عليه السلام) فاكتسبت الصّورة هنا الأثر الأكبر والجمال الأوفر لارتباطها بدلالات الدّم .

أمّا المحور الدّيني الثالث(القسم بالدّم) والدّم هنا أي دم الشعائر وخصيصًا (دم الهدي لشعيرة الحج) فقد "جرت عادة العرب في العصر الجاهلي على ذبح هديهم عند الأوثان والأنصاب في فناء الكعبة ويتركونها بعد الذبح، وأصبحت تقاليد الهدى تعين صاحب منصب" الرفادة" في القيام بمهمته، فقد كان فقراء الحجاج يأكلون من لحوم الهدى، وجاء الإسلام فأقر تلك الشعائر جميعها دون إنقاص... بل بكثير من التقديس والتخصيص لها وإزالة الأوثان التي كان يتم تقريب تلك الذبائح إليها .[٢]

وقد حظيت الكعبة المشرفة بمكانة رفيعة وقدسية عظيمة من قديم الأزل، حتى جاء الإسلام فزادها تعظيمًا وتشريفًا، فقد اكتسب الهدي صفة القداسة من المكان الذي يُساق إليه ليذبح عنده .

وقد أقسم النّابغة الذّبياني بالكعبة والدّماء التي أُريقت على الأنصاب، في معرض اعتذاره للنعمان بن المنذر، وتوكيده ذلك بالقسم برب الكعبة التي يُتمسح

---

(١) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، الجامع الصّحيح، تحقيق، محمد زهير النّاصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢ هـ، ج ٥، حديث رقم ٢٧٩٥.

(٢) خليل عبد الكريم، الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية، سينا للنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٩ م ،ص ٦٦.

بها إجلالاً وتقديساً، وبما يراق من دماء العتائر على الأنصاب، وبالله الذي يحمي طير مكة، إنَّ ما بُلّغ به وشاية غير صحيحة، وإلا فلتُشَلّ يده إذا كان الأمر خلاف ما يقسم به يقول: من البسيط. (١)

فلا لعمرُ الذي مسَّحتُ كَعْبَتَهُ وما هُريق على الأنصابِ من جَسَدِ

والمؤمنِ العائذاتِ الطير تمْسحُها ركبانُ مكَّة بين الغَيلِ والسَّعدِ

ما قُلتُ من سيّئٍ أتيتَ بهِ إذاً فلا رفعتْ سوطي إليَّ يدي

يقول الحق سبحانه عن الهدي الذي يُهدى إلى البيت الحرام للذّبح (٢)**(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.)**

وعُرف الهدي المقلد بقلائد، تشعر أنه أهدى إلى بيت الله ب (القلائد) فلا يجوز أحد أن يتحرش به، أو أن يفك قلائده، لأن ذلك تجاوز على مال الله. (٣)

يقول الحق سبحانه وتعالى: (٤)**(وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.)**

---

(١) ديوان النابغة الذّبياني، تحقيق، كرم البُستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٦٣ م، ص ١٢٤.

(٢) سورة المائدة ، آية ٢

(٣) جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، ط ٢، ١٩٩٣ م، ج ٣، ص ٢٢٠.

(٤) سورة الحج ، آية ٣٦ .

أمّا المحور الرّابع من مصادر الدّين (الدّية) باعتبارها من متطلبات حقن الدماء، فتصبح الدّية معادلًا موضوعيًا للدّم (دم الحياة)، الدّية / الدم .

يقول الحق سبحانه وتعالى: [١](**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا.)**

وهنا نأتي للمحور الأول والنصوص التي استخدمها شعراء العصرين لطلب وتمني الشّهادة في سبيل الله والفوز بجنات الخلد .

يقول كعب بن مالك: من الطّويل. [٢]

وَنَحْنُ وَرَدْنَا خَيْبَرًا وَفُرُوضَهُ ... بِكُلِّ فَتًى عَارِي الْأَشَاجِعِ مِذْوَدِ

عَظِيمِ رَمَادِ الْقِدْرِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ ... ضَرُوبٍ بِنَصْلِ الْمَشْرَفِيِّ الْمُهَنَّدِ

يَرَى الْقَتْلَ مَدْحًا إِنْ أَصَابَ شَهَادَةً ... مِنْ اللَّهِ يَرْجُوهَا وَفَوْزًا بِأَحْمَدِ

يَذُودُ وَيَحْمِي عَنْ ذِمَارِ مُحَمَّدٍ ... وَيَدْفَعُ عَنْهُ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ

يُصَدِّقُ بِالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ مُخْلِصًا ... يُرِيدُ بِذَاكَ الْفَوْزَ وَالْعِزَّ فِي غَدِ

تظهر الرّوح الفدائية في الأبيات، فيرى الشّاعر الشّهادة في سبيل الله تعدل السّعادة وهى الخلود والتنعم في الجنّة التي أعدّت للمجاهدين فقد سمت نفس الشّهيد فوق كل عرض من أعراض الدنيا، فما عاد شيء يغريه سوى الموت في سبيل الله والرسول صلى الله عليه وسلم، فتأتي (الشّهادة) صريحة بكل ما تحمله من دم مرتبط بها .

---

(١) سورة النساء ، آية ٩٢.

(٢) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تحقيق، سامي مكي العاني، مكتبة النهضة، بغداد، ط ١، ١٩٦٦ م، ص ٥٨.

ويقول كعب بن مالك في موضعٍ آخر: من الكامل. [١]

عمُّ النبيِّ محمدٍ وصفيُّة ... وردَ الحِمامَ فطابَ ذاكَ المورِدُ

وأتى المنيةَ مُعْلَماً في أسرةٍ ... صَدقوا النبيَّ ومنهمُ المستَشهد

وَبِبِئْرِ بَدْرٍ إِذْ يَرُدُّ وُجُوهَهُم ... جِبْرِيلُ تَحْتَ لِوَائِنَا وَمُحَمَّدُ

حَتَّى رَأَيْتُ لَدَى النَّبِيِّ سَرَاتَهُمْ ... قِسْمَيْنِ: يَقْتُلُ مَنْ نَشَاءُ وَيَطْرُدُ

فَأَقَامَ بِالْعَطَنِ الْمُعَطَّنِ مِنْهُمْ ... سَبْعُونَ: عُتْبَةُ مِنْهُمْ وَالْأَسْوَدُ

شَتَّانَ مَنْ هُوَ فِي جَهَنَّمَ ثَاوِيًا ... أَبَدًا وَمَنْ هُوَ فِي الْجِنَانِ مُخَلَّدُ

تصور الأبيات جود الحمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم، حيث ترتبط الشّهادة لدى الحمزة وأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام بروح الفدائية والاستعداد للموت، رغبة في الوصول لجنة الخلد، فالموت والدّم مرتبطان بالصعود إلى جنان الخلد(صدقوا النبي ومنهم المستشهد) وهذا هو وعد الحق سبحانه، فقتلى المسلمين في الجنان، بينما قتلى الكفار في جهنم .

يقول حسّان بن ثابت حين قدمت بنته أمامة المدينة تسأل عن قبر أبيها ومصرعه : من الطّويل. [٢]

تَسائِلُ عَن قَومٍ هِجانٍ سَمَيدَعٍ ... ذى الباسِ مِغرارِ الصَباحِ جَسور

أَخي ثِقَةٍ يَهتَزُّ لِلعُرفِ وَالنَدى ... بَعيدِ المَدى في النائِباتِ صَبورِ

فَقُلتُ لَها إِنَّ الشَهادَةَ راحَةٌ ... وَرِضوانُ رَبٍّ يا أُمامَ غَفورِ

فَإِنَّ أَباكَ الخَيرَ حَمزَةَ فَاِعلِمي ... وَزيرُ رَسولِ اللَهِ خَيرُ وَزيرِ

---

(١) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ٦٦.

(٢) ديوان حسّان بن ثابت ، ص ٥٨.

يؤمن الشّاعر إيمانًا جازمًا، بأن أشرف القتل هو موت الشهادة، فالشّهادة لا شك أنها رمز للبطولة والكرم، فقد ضحى بنفسه للوصول إلى إرضاء الله والوصول لجنات النعيم، لذا جاءت(الشّهادة) صريحة وما يرتبط بها من طعنٍ وسفك للدماء، فالشّهادة معادلًا موضوعياً للدم .

ويقول حسّان في موضع آخر : من الطويل. [١]

وَمِنَّا قَتِيلُ الشِّعْبِ أوْسُ بْنُ ثَابِتٍ[٢] شَهِيدًا وأسْنَى الذِّكْرَ مِنْهُ المَشَاهِدُ

وَمَن جَدُّهُ الأَدنى أَبي وَابنُ أُمِّهِ لِأُمِّ أَبي ذاكَ الشَهيدُ المُجاهِدُ

يتغنى الشّاعر بمقتل أوس بن ثابت في سبيل الله، ولمّا لا فقد صحت العقيدة لديه فاستعذب الموت، وتغيرت النّظرة للموت من فقدان للحياة إلى وسيلة لحياة أخرى، وعد بها المولى سبحانه هي خير وأبقى، فجاء تَكْرار الشّاعر للفظة (الشّهيد) إمعانًا منه بشرفها وعلو قدرها، فالشّهيد معادلًا موضوعيًا للدم .

ويبكي حسّان خبيبًا: من البسيط. [٣]

ما بالُ عَينِكَ لا تَرقا مَدامِعُها سَحّاً عَلى الصَدرِ مِثلَ اللُؤلُؤِ القَلِقِ

عَلى خُبَيبٍ وَفي الرَحمَنِ مَصرَعُهُ لا فاشِلٍ حينَ تَلقاهُ وَلا نَزِقِ[٤]

فَاذهَب خُبَيبُ جَزاكَ اللَهُ طَيِّبَةً وَجَنَّةَ الخُلدِ عِندَ الحورِ في الرُفُقِ

ماذا تَقولونَ إِن قالَ النَبِيُّ لَكُم حينَ المَلائِكَةُ الأَبرارُ في الأُفُقِ؟

فيمَ قَتَلتُم شَهيدَ اللَهِ في رَجُلٍ طاغٍ قَدِ أوعَثَ[٥] في البُلدانِ وَالطُرُقِ؟

---

(١) ديوان حسّان بن ثابت ، ص ٧٧.

(٢) هو أوس بن ثابت بن المنذر بن زيد مناة بن عمرو بن الخزرج الأنصاري ، أخو حسّان بن ثابت الشاعر ، وهو والد شداد بن أوس الصحابيّ المشهور ، شهد العقبة وبدرًا ، وقتل فيها . (انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ١ ، ص ٢٩٢).

(٣) ديوان حسّان بن ثابت ، ص ٩٦.

(٤) الفاشل: الجبان ، النزق : سيء الخلق .

(٥) أوعث : أفسد .

لا شك أنَّ البكاء يفرّغ شحنة الحزن الملتهبة في الأعماق، ويخفف هول المصاب، لكن الحال هنا تغير، فالموت هنا في سبيل الله، ليصبح شهيدًا يتنعم في حياة أبدية(جنة الخلد عند الحور) مستنكرًا فعلتهم وقتلهم خبيبًا(ماذا تقولون إن قال النبي لكم؟) ثم يأتي بلفظة (شهيد) بما تحمله من دلالات دموية ، الشّهيد/ الدم وقال خالد بن الوليد يشجع أصحابه يوم اليرموك: من الرّجز. (١)

هبُّوا جَمِيعًا إخْوَتِي أرْوَاحَاً نَحْوَ الْعدَوّ نَبْتَغِي الكِفاحَا

نَرْجُو بِذَلِكَ الْفَوْزَ وَالنَجَاحَا إذَا بَذَلْنَا دُوَنهُ أَرْوَاحَا

وَيرزقُ اللهُ لَنا صَلاحَا فِي نَصْرِنَا الغدوّ وَالرواحَا

يتجلى أثر القرآن الكريم في الأبيات، وإيمان الشّاعر المطلق بالعقيدة الإسلامية فهو يجزم بأن الشّهادة في سبيل الله تعالى جزائها الفوز بجنات الخلد، لذا يدعو أصحابه لبذل الغالي والنفيس وبذل الرّوح من أجل استحقاق هذه المنزلة السامية، وهذه الشّهادة مرتبطة بالدّم، لتصبح الشّهادة معادلًا موضوعيًا للدّم .

وقال ضرار بن الأزور(٢) : من الطويل.

وَأَرْضَيت خير الخَلق أَعْنِي مُحَمّدا لعلّي أَنَال الْفَوزَ فِي مَوْقِف الْحَشْر

وإنّي أردتُ اللهّ لا شيءَ غيْرَه وَجَاهَدتُ فِي جيشِ المَلاعين بِالسّمْرِ

فَمَنْ خَافَ يَوم الْحَشّرِ أَرْضَى إلَهَهُ وَقَاتَل عِباد الصّليبِ بني الكُفر

كَذا جَلت يَوم الْحَرْبِ فِي كلِ كَافر وَجنْدَلتَه بِالطّعْنِ فِي الكّر وَالفَر

يصور الشّاعر شجاعته، فهذه الشّجاعة هي التي أعطته العزيمة على مواصلة ضرب الرّقاب والطّعن، كي ينال رضا الله ثم رضا رسوله الكريم صلى الله عليه

(١) محمد بن عمر الواقدي، تاريخ فتوح الشام، تحقيق، عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٧ م ، ج ١، ص ١٣٧.

(٢)محمد بن عمر الواقدي، فتوح الشام، ج ١، ص٢٨٥.

وسلم، ونيل الشّهادة في سبيل الله ،والفوز بجنة الخلد، فالجّهاد عصمة ووقاية من يوم الحشر، فالجّهاد والشّهادة معدلًا موضوعيًا للدم .

وقال عبد الله بن رواحة في معركة مؤتة وهو مقدم على الشهادة : من الرجز. [١]

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَّهْ

طَائِعَةً أَوْ لَتُكْرَهِنَّهْ

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرَّنَّهْ

مَا لِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الْجَنَّهْ

قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ

هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَنَّهْ

لا شك أن الجنّة التي تجري من تحتها الأنهار هي الفوز العظيم، والجزاء الكبير الذي أعده الله سبحانه للمجاهدين والشهداء، وعليه فقد أيقن عبد الله بن رواحة أن الشّهادة مكرمة يطلبها في ساحة المعركة تحت ظلال السيوف، وطعان الرّماح، ليصبح موت الشّهادة مرتبط بسيلان الدّم .

يقول البهلول بن بشر الشيباني أحد شعراء العصر الأموي الخوارج: من البسيط.[٢]

مَنْ كَانَ يَكْرهُ أَنْ يَلْقَى مَنِيَّتَهُ فَالموتُ أَشْهَى إِلى قَلْبِي مِنَ الْعَسَلِ

فَلا التقدمُ فِي الْهَيجاءِ يُعْجلِنِي ولا الحِذارُ يُنَجيني مِنَ الأجَلِ

---

(١) ديوان عبد الله بن رواحة ، ص ١٣٥.

(٢) يلقب كثارة ، خرج أيام خالد بن عبد الله القسري ، كان لين السيرة لا يقاتل إلا من قاتله ولا يعرض لأحد ، ولا يأخذ شيئًا إلا بثمن ، متشبهًا بشيخ الخوارج أبي بلال مرداس ، بعد مقتله ولّى الخوارج عليهم دعامة بن عبد الله الشيباني بوصية البهلول نفسه (انظر : ديوان الخوارج ، ص ٢٠١).

تختفي معالم الحزن والجزع واليأس لدى الشّاعر، فما فقد الشّاعر الحياة الدّنيا إلا ليهنأ بالجنة ونعيمها، الذي أعده الله للشّهداء، فهو حلم يراود كل إنسان، حتى أصبح الموت لدى الشّاعر أشهى من العسل لكنه موت الشّهادة بكل ما يحمله من دلالات الدّم .

يقول قطري بن الفجاءة: من الطويل. [١]

أَبا الجَعدِ أَينَ العِلمُ وَالحُلمُ وَالنُهى ... وَميراثُ آباءٍ كِرامِ العَناصِرِ

أَلَم تَرَ أَنَّ المَوتَ لا شَكَّ نازِلٌ ... وَلا بَعثَ إِلّا لِلأُلى في المَقابِرِ

فَإِنَّ الَّذي قَد نِلتَ يَفنى وَإِنَّما ... حَياتُكَ في الدُنيا كَوَقعَةِ طائِرِ

وَتُب تَوبَةً تُهدي إِلَيكَ شَهادَةً ... فَإِنَّكَ ذو ذَنبٍ وَلَستَ بِكافِرِ

وَسِر نَحوَنا تَلقَ الجِهادَ غَنيمَةً ... تُفِدكَ اِبتِياعاً رابِحاً غَيرَ خاسِرِ

هِيَ الغايَةُ القُصوى الرَغيبُ ثَوابُها ... إِذا نالَ في الدُنيا الغِنى كُلُّ تاجِرِ

يُذّكِر قطري أحد أصحابه – وهو سميرة بن الجعد– بالموت واعظًا إياه، حتى لا ينخدع بالحياة الزائلة، فالإنسان بطبيعته ضعيف أمام الحياة وأمام الزمان، فالإنسان يخشى الزمان، فاستمرار الحياة هو انقضاء للزمان، وانقضاء الزمان معناه السير نحو الموت، يقول زكريا إبراهيم " نحن نخشى المستقبل، ونحن نخشى المجهول، ونحن نخشى الزمان، ونحن نخشى الحياة، ونحن نخشى الموت ... وكل هذه المظاهر المختلفة من الخوف إن هي إلّا تعبير عمّا في وجودنا من تناهٍ وعرضية." [٢] لذا يطلب قطري من صديقه أن يتوب ويرجع حتى ينال شهادة، يصل بها إلى نعيم دائم ،فالجّهاد والشّهادة معادلًا موضوعيًا للدم .

ويقول قطري : من الرجز [٣]

---

(١) شعر الخوارج ، ص ١٠٥.

(٢) زكريا إبراهيم، مشكلة الإنسان،مكتبة مصر، القاهرة، ص ١٢٢.

(٣) شعر الخوارج، ص ١١٦.

حَتّى مَتّى تُخطِئُني الشَهادَه

وَالمَوتُ في أَعناقِنا قِلادَه

لَيسَ الفِرارُ في الوَغى بِعادَه

يا رَبِّ زِدني في التُقى عِبادَه

وَفي الحَياةِ بَعدَها زَهادَه

يُقرّ قطري بالحقيقة الكونية الخالدة، المتمثلة بحتمية الموت لجميع المخلوقات، فلا بد من الاستجابة للموت، فوظّف التضاد (الموت، الحياة) لينطلق إلى الغاية التي أرادها وهي اختيار الميتة المشرفة (الشّهادة) تحت وقع السّيوف، لتصبح الشّهادة بكل ما تحمله من دلالات دموية معادلًا للدم .

المحور الثّاني :من مصادر الدّين لدى شعراء الإسلام وبني أمية (القصص القرآني):

الحق نهل الشعراء من القصص القرآني والتوراتي فأوردوها في أشعارهم قاصدين بذلك العبرة والعظة ومن أكثر القصص التي لامست الدّم بإحدى دلالاته، والتي تعني البحث (قابيل وهابيل، قصة قوم ثمود، إبراهيم الذبيح عليه السلام، قميص يوسف عليه السلام) وجاءت تلك القصص بشكل موجز بأبيات تؤكد المعالم الرئيسة للحدث، وأبيات قليلة ضمن حدود الغرض العام للقصيدة، وفي بعض الأحيان مقطوعات من البيتين والثلاثة .

وتعد قصة ابنيّ آدم (قابيل وهابيل) الخطيئة الأولى في الوجود ، فكان دم (هابيل) هو الدم المسفوح ظلمًا، على يد أخيه (قابيل)، فكان هابيل رمزًا للضحية، وقابيل رمزًا للجريمة .

وجاء في القصة أن آدم عليه السلام كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى الأخرى، وأن قابيل أراد أن يتزوج بأخت هابيل، وكان أكبر من هابيل، وأخت قابيل أحسن، فأراد قابيل أن يستأثر بها على أخيه، وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى، فأمرهما أن يقربا قربانًا، وذهب آدم ليحج إلى مكة، واستحفظ السماوات على بنيه

فأبين، والأرضين والجبال فأبين، فتقبل قابيل بحفظ ذلك، فلما ذهب قربا قربانهما، فقرب هابيل جذعة سمينة، وكان صاحب غنم، وقرب قابيل حزمة من زرع من رديء زرعه، فنزلت نار، فأكلت قربان هابيل، وتركت قربان قابيل، فغضب، وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي، فقال: إنما يتقبل الله من المتقين.[١]

وقال الحق سبحانه وتعالى[٢] **(لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.)**

وفي سفر التكوين : "وَكَلَّمَ قَايِينُ هَابِيلَ أَخَاهُ. وَحَدَثَ إِذْ كَانَا فِي الْحَقْلِ أَنَّ قَايِينَ قَامَ عَلَى هَابِيلَ أَخِيهِ وَقَتَلَهُ .فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ: «أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟» فَقَالَ: «لاَ أَعْلَمُ! أَحَارِسٌ أَنَا لأَخِي؟ «فَقَالَ: «مَاذَا فَعَلْتَ؟ صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ، فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ .مَتَى عَمِلْتَ الأَرْضَ لاَ تَعُودُ تُعْطِيكَ قُوَّتَهَا. تَائِهًا وَهَارِبًا تَكُونُ فِي الأَرْضِ."[٣]

وجاء في قصة ثمود أنهم "كانوا بعد قوم عاد، وكانوا يعبدون الأصنام كأولئك، فبعث الله فيهم رجلًا منهم، وهو عبد الله ورسوله: صالح بن عبد بن ماسح بن عبيد بن حاجر بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن يخلعوا الأصنام والأنداد، ولا يشركوا به شيئًا، فآمنت به طائفة منهم، وكفر جمهورهم، ونالوا منه بالمقال والفعال وهموا بقتله، وقتلوا الناقة التي جعلها الله حجة عليهم، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.[٤]

وقال الحق سبحانه وتعالى [٥]**"قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ**

---

(١)عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية ، تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنّشر، مصر، ط ١، ١٩٩٧ م، ج ١ ، ص ١٤٢.

(٢) المائدة ، آية ٢٨.

(٣) الكتاب المقدس، سفر التّكوين، إصحاح ٤.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١ ، ص ١٥٨.

(٥) سورة الأعراف، آية ٧٥، ٧٧.

مُؤْمِنُونَ(٧٥) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ(٧٦) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ.")

على أن الذي يعني البحث من قصة النبي صالح عليه السلام، هو عقر الناقة وما يحمله من دلالات دموية، والذي ترتب عليه أنه كان السبب في نزول العذاب عليهم، حتى ضربته العرب مثلًا في كل هلكة عظيمة، تقول العرب (كراغية البكر)[١] فهي إذن تتضمن رموزًا متضادة، فهي رمز الموت والحياة، ورمز العذاب والرحمة، ورمز الأمن والخوف .

ويسطر أمية بن أبي الصلت قصة قوم ثمود والناقة في قوله : من الخفيف.[٢]

كَثَمودَ الَّتي تَفتَكَت الدينَ ... عُتّياً وَأُمَّ سَقبٍ عَقيرا

ناقَةٌ لِلإِلَهِ تَسرَحُ في الأَرضِ ... وَتَنتابُ حَولَ ماءٍ مديرا[٣]

فَأَتاها أُحَيمِرٌ كَأَخي السَهـــــ ... ـمِ بِعَضبٍ فَقالَ : كوني عَقيرا[٤]

فَأَبَتْ العُرقوبَ وَالساقَ منها ... وَمَشَتْ فِي دِمَائَها مَكسورا

فَرَأى السَقبُ أُمَّهُ فارَقَتهُ ... بَعدَ إِلفِ حَنيةً وَظَؤورا[٥]

فَأَتى ضَخرَةً فَقامَ عَلَيها ... صَعقَةً في السَماءِ تَعلو الصُخورا

---

(١) والبَكْر الصغير من الإبل، قال أبو عبيدة : البَكْر من الإبل بمنزلة الفتى من الناس، والبَكرة بمنزلة الفتاة ، و(الرّاغية) مصدر بمعنى الرُّغاء وهو صوت البعير ، ورغت الناقة أي صوّتت، ويريد بالبكر ولَدَ ناقة صالح عليه السلام، ولمّا قَتل قُدارُ ثمود النّاقَةَ رغا ولدُها، فصاح برغائه كلُ شيء له صوتُ، فهلكت ثمود عند ذلك ، فضربته العرب مثلًا في كلَ هلكةٍ عامَة .(انظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ج ١١ ، ص ٥٦).

(٢) ديوان أمية بن أبي الصلت، ص ٧٧.

(٣) ماءً مديرًا : محاط بالطين لئلا ينشف .

(٤) أحيمر : قاتل الناقة ، واسمه قدار بن سالف ، العضب : السيف القاطع..

(٥) الظؤور: جمع ظئر ، وهي الناقة التي تحن على ولد غيرها .

فَرَغا رَغوَةً فَكانَت عَلَيهِم رَغوَةُ السَقبِ دُمِّروا تَدميرا[١]

لا تختلف رواية أميّة عمّا جاء به الذّكر الحكيم عن عقر قوم ثمود للناقة، فثمود التي تمردت على الدين بتقديم شروطها للنبي صالح عليه السلام، بخروج ناقة من صخرة، ثم قابلهم صالح عليه السلام بتحدٍ آخر حين جعل للناقة يومًا ترد فيه الماء وجعل لقوم ثمود يومًا آخر، شريطة ألا يصيبها مكروه ، لكن قام أحيمر بعقر الناقة بسيفه القاطع ،في مشهد دموي، غاية في البشاعة، حين كشف السيف عرقوبها، وأخذت تسير والدماء تنزف منها .فجاءت دلالات الدم موحية ومعبّرة عمَا فعله قوم ثمود بالناقة فكان نتيجة العقر عذاب أليم أحلّ بهم (أم سقب عقيرًا، فأتاها أحيمر، كوني عقيرًا، مشت في دمائها، رغوة السقب دُمروا تدميرًا.)

يقول الفرزدق مستثمرًا قصة ثمود : من الكامل.[٢]

إِنْ نَحْنُ لَمْ نَمْنَعْ بِطَاعَتِنَا وَالْحُبِّ لِلمَهْدِيّ وَالشُّكْرِ

فَغَدَتْ عَلَيْنَا فِي مَنَازِلِنَا رُسُلُ الْعَذَابِ بِرَغْوَةِ الْبَكْرِ

أَشْقَى ثَمُودَ حِينَ وَلّهَهُ عَنْ أُمِّهِ الْمَشْؤومُ بِالْعَقْرِ

في موازنة رائعة من الفرزدق يعقدها بين عُمال الخراج ورُغاء فصيل ناقة صالح عليه السلام، فكما كان رغاؤه إيذانًا بهلاك ثمود بسبب إراقة دم أمه، صار مجيء هؤلاء العمال إيذانًا بهلاك قوم الفرزدق بالدّم أيضًا.

ويقول في معرض هجاءه لجرير : من المتقارب.[٣]

وكَانَ جَرِيرٌ على قَوْمِهِ كَبَكْرِ ثَمُودٍ لهَا الأَنْكَدِ

رَغَا رَغْوَةً بِمَنَايَاهُ فَصَارُوا رَمَاداً مَعَ الرِّمْدَدِ[٤]

---

(١) رغوة السّقبِ : الطويل من كل شيء ، وأراد رغوة قوية صادرة عن مصدر قوة .

(٢) ديوان الفرزدق ، ص ٢٣٢.

(٣) ديوان الفرزدق ، ص ٢٣١.

(٤) الرمدد : الرماد .

يُوَارِي كُلَيباً إذا اسْتَجمَعَتْ، وَيَعجزُ عَن مَجلِسِ المُقعَدِ

أخذ الفرزدق قصة ثمود وعقرهم ناقة صالح عليه السلام، بكل دلالاتها، وجعلها وسيلة لردع كل طاغٍ أو جبار، وإلا سيكون مصيره مصير أحمر ثمود، فيحذّر قوم جرير بأنه سيجلب عليهم العذاب والقتل، كعاقر ناقة صالح عليه السلام، فمصيرهم سيكون الدم .

أمّا المحور الثّالث: من مصادر الدّين (القسم بالدّم أو الهَدي الذي يُذبح)، والقسم وسيلة من وسائل التّعامل بين النّاس وبعضها، للتأكيد والإثبات أو الشك والإنكار، وقديمًا أعلن زهير بن أبي سلمى، بأنه وسيلة من وسائل ثلاث لإثبات الحق، في قوله من الوافر [١]

فَإِنَّ الحَقَّ مَقطَعُهُ ثَلاثٌ يَمينٌ أَو نِفارٌ أَو جِلاءُ

الحق افتتنّ العرب بصيغ القسم، فلم يكتفوا بالحلف بالله، بل جاءوا بصيغ تدل عليه سبحانه وتعالى

فهذا أوس بن حجر يحلف برب الهَدي الذي يُساق إلى بيت الله ثم يُذبح بمنى، يقول: من الطويل. [٢]

حلفتُ بربِّ الدّامياتِ نحورُها وما ضمّ أجمادُ اللُّبينِ وكبكبُ

على أن الهَدي قد اكتسب صفة القداسة من المكان الذي يُساق إليه ليذبح فيه، وهو بيت الله الحرام، وكان العرب يضعون القلائد حول أعناق الإبل ويزينونها، تعبيرًا عن تقديسهم لتلك الإبل، وفي ذلك يقول : النمر بن تولب: من المتقارب. [٣]

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ١٣٢.

(٢) ديوان أوس بن حجر، تحقيق، محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠، م ، ص ٧.

(٣) ديوان النّمر بن تولب العُكلي، تحقيق، محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠ م، ص ١١٢.

وَقَامَت إِلَيِّ فَأَحْلَفْتُها بِهَدي قَلائِدُهُ تَخْتَنِق

بِأَنْ لا أَخُونَكَ فِيْما عَلِمْتَ فَإِنَّ الخِيانَةَ شَرُّ الخُلُقْ

والبُدن : جمع بُدنة، وهي ما يهديها الحاج وينحرها من إبل وبقر، أو هي النّاقة والبقرة والبعير الذّكر مما يجوز في الهدي والأضاحي، ولا تقع على الشاة، سميت بُدنة لعظمها وسمنها. (١)

يقول حسّان بن ثابت: من المنسرح.(٢)

إنّي وَرَبِّ المُخَيَّسَاتِ، ومَا يَقْطَعْنَ مِنْ كلّ سَرْبَخٍ جَدَدِ

والبدنِ، إذْ قربتْ لمنحرها حلفةَ برّ اليمينِ مجتهدِ

ما حلتُ عنْ خيرِ ما عهدتِ، ولا أحببتُ حبي إياكِ منْ أحدِ

يستخدم حسّان القسم (بالبُدن) كآلية حجاجية تكشف عن صدق عاطفته تجاه محبوبته، وكأنه يريد منذ اللحظة الأولى لخطابه الشعري أن يتسم بالقداسة، وما ارتبط به من نُسك وشعائر كالذبّح لبيت الله الحرام، مستخدمًا (دم البُدن) في التّعبير عن صدق شعوره .

يقول حُميد بن ثور(٣) في القسم بالهَدَايا: من البسيط.(٤)

---

(١) لسان العرب ، مادة (بَدَنَ)، ج ٢،ص ٢١٤.

(٢) ديوان حسّان بن ثابت ، ص ٧٣.

(٣) ديوان حُميد بن ثور الهلالي، تحقيق، عبد العزيز الميمني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥١ م، ص ٦٦.

(٤) هو حُميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري، شاعر مخضرم عاش زمناً في الجاهلية وشهد حنيناً مع المشركين، وأسلم ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم، ومات في خلافة عثمان رضي الله عنه، ،عده الجمحي في الطبقة الرابعة من الإسلاميين. وفي شعره ما كان يُتغنى به، قال الأصمعي: الفصحاء من شعراء العرب في الإسلام أربعة: راعي الإبل النُميري، وتميم بن مقبل العجلاني، وابن أحمر الباهلي، وحميد بن ثور الهلالي من قيس عيلان.(انظر في ترجمته : أُسد الغابة في معرفة الصحابة ٥٤/٢، معجم الأدباء ٩/١١).

إِنّي وَرَبِّ الهَدَايَا فِي مَشَاعِرِها وَحَيثُ يُقْضَى نُذورُ النّاسِ وَالنُسُكُ

وَرَبِّ كُلِّ مُنِيبٍ بَاتَ مُبْتَهِلًا يَتْلُو الكِتَابَ اجْتِهادًا لَيْسَ يَتّرِكُ

لا أُنْكِرنّ الذي أَوْلَيتَنِي أَبدًا حَتى أُعَدَّ مَع الْهلْكَى إِذَا هَلَكُوا

لا شك أن مساحة القسم الواسعة وما استدعته مناسك الحج، حيث الأجواء الإيمانية التي تنتفي فيها آفات الكذب والوشاية كانت حجة على صدق الشاعر، مستخدمًا القسم بـــ (الهَدايا) التي تراق دمائها في مناسك الحج دليلًا على صدق وإصرار الشّاعر بالتمسك بصاحبته وعدم التخلي عنها .

يقول الفرزدق : من الوافر [١]

حَلَفتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالمُصَلّى وَأَعناقِ الهَدِيِّ مُقَلَّداتِ[٢]

لَقَد قَلَّدتُ جِلفَ بَني كُلَيبٍ قَلائِدَ في السَوالِفِ باقِياتِ

قَلائِدَ لَيسَ مِن ذَهَبٍ وَلَكِن مَواسِمَ مِن جَهَنَّمَ مَنضِجاتِ

يربط الفرزدق القسم بهذه الأماكن والشّعائر الدّينية المقدسة، التي لها مكانة في نفوس المسلمين، فيزورونها امتثالًا لأوامره سبحانه، وتعبيرًا عن خضوعهم وطاعتهم له سبحانه وتعالى، مستخدمًا القسم بالهَدي الذي يذبح في هذه الشعيرة، للدّلالة على صدق قوله وصدق قريحته الشعرية وقوة هجاءه لأعداه وأعداء قومه.

يقول الأخطل : من البسيط. [٣]

قدْ حَلَفتُ بما أسْرى الحجيجُ لهُ والنّاذرين دماءَ البُدْنِ في الحَرَمِ

لَولا الوَليدُ، وأسْبابٌ تَناوَلَني بهنِّ، يَومَ اجتماعِ النّاسِ بالثّلَمِ[٤]

---

(١) ديوان الفرزدق ، ص ١٠٠.

(٢) المقلدات : أي المقلدات بالنعال ، لأن البدن تقلد بالنعال ، أو تُشعر في سنامها حتى يسيل منها الدم لُيعلمَ أنها هدية .

(٣) ديوان الأخطل ، ص ٣١٦.

(٤) الثّلم : موضع في بلاد الشاه .

إذاً لكُنتُ كمَنْ أوْدى، وَوَدَّأهُ أهْلُ القَرابَةِ بَينَ اللّحدِ والرَّجَمِ [١]

يُقْسِمُ الشّاعر بالكعبة التي يقصدها الحجيج، وبالناذرين الذّين يصطحبون معهم الذبائح، أنه لولا الوليد وحمايته له في (الثلم) حيث اجتماع النّاس، لهلك وغيب بين التراب، فهذه الأيمان المغلظة بهذه الأماكن والشعائر تدل دلالة قوية على قدسيتها في نفس الشاعر، لذا اتخذ من دماء البُدن وسيلة ليعّبر بها عن صدق قوله .

يقول الأخطل : من الوافر. [٢]

حَلَفتُ بِمَن تُساقُ لَهُ الهَدايا وَمَن حَلَّت بِكَعبَتِهِ النُذورُ

لَقَد وَلَدَت جَذيمَةُ مِن قُرَيشٍ فَتاها حينَ تَحزُبُها الأُمورُ[٣]

وَأَكرَمَها مَواطِنَ حينَ تُبلى ضَرائِبُها وَتَختَضِبُ النُحورُ[٤]

يستمد الأخطل صورته من نفس المشاهد التي يراها دائمًا، مشهد الكعبة المشرفة ومشهد الدّماء التي تُراق من البُدن، وينطلق من أعماق حسه الدّيني تجاه شعائر الحج متخذاً من دماء الهدايا دليلًا على صدق قسمه وصدق مشاعره تجاه الممدوح، فالوليد هو خير من أنجبت جذيمة، وحامي حماها .

يقول عمرو بن ربيعة : من المنسرح. [٥]

إنّي وَمَن أَحرَمَ الحَجيجُ لَهُ وَمَوقِفِ الهَدي بَعدُ وَالبُدُنِ

وَالبَيتِ ذي الأَبطَحِ العَتيقِ وَما جُلِّلَ مِن حُرِّ عَصبِ ذي اليَمَنِ[١]

---

(١) أودى : هلك ، ودأه : واراه الثرى ، دفنه ، الرجم : كومة الحجارة ، ويقصد القبر .

(٢) ديوان الأخطل ، ص ١٨١.

(٣) جذيمة : من قبيلة بني عبس التي تنسب إليها والدة الممدوح ، فتاها: الوليد بن عبد الملك ، تحزُب: تشتد .

(٤) الضرائب: السمة والعلامة ، تختضب النحور : تُصبغ بالدم.

(٥) ديوان عمرو بن ربيعة ، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السّعادة، مصر، ط ١، ١٩٥٢ م، ص ٢٩٠.

وَزَمزَمٍ وَالجِمارِ إِذ رُمِيَت وَالجَمرَتَينِ اللَتَينِ بِالبَطنِ

ما خُنتُ عَهدَ القَتولِ إِذ شَحطَت وَلَو أَتَوها بِهِ لِتَصرِمَني

يرى عمرو بن ربيعة في القسم الوسيلة التي لا يملك سواها لإقناع محبوبته بحبه لها، فهو يركز طاقته التصويرية في عدة مشاهد مشهد ثابت ومشهد متحرك، مشهد البيت الحرام وكأنه يريد أن يعكس على صورته معاني الخلود والبقاء، ومشهد الهدي والبُدن في طريقها إلى الكعبة لتذبح ويراق دمها، متخذاً من هذا المشهد ما يضفي جوًا من القداسة على صدق مشاعره، ليكون دم البُدن معادلًا موضوعيًا لصدقه.

يقول توبة بن الحمير الخفاجي [٢] : من الطويل.[٣]

عليِّ دْماءُ الُبدن إن كانَ زوجُها يرى لَي ذَنباً غيرَ أنّي أزورُها

وإني إذا ما زرتها قلتُ يا اسلمي فهل كانَ في قولي اسلمي ما يضيرُها

أضفى توبة بقسمه (عليّ دماء البُدن) جوًا إسلاميًا خالصًا، حتى أننا لا نملك إلا أن نصدقه في كل ما يؤكده بهذا القسم، وهو الزيارة فقط لمحبوبته .

يقول قيس بن الملوح : من الطويل.[٤]

---

(١) جُلل : بالبناء للمجهول ، غطى وستر ، عصب اليمن: ضرب من الثياب ، وكانت كسوة الكعبة تجلب من اليمن أحيانًا ومن مصر أحيانًا أخرى ، ثم قصرت على مصر .

(٢) ديوان توبة بن الحمير الخفاجي، تحقيق، خليل إبراهيم العطية، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٨ م، ص ٤٠.

(٣)توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة العقيلي العامري أبو حر، شاعر من عشاق العصر الأموي، كان يهوى ليلى الأخيلية وخطبها، فرده أبوها وزوجها غيره، فانطلق يقول الشعر مشببا بها،واشتهر أمره، وسار شعره، وكثرت أخباره، قتله بنو عوف بن عقيل. (انظر ديوان توبة بن الحمير، ص ٨،١٠).

(٤) ديوان قيس بن الملوح (مجنون ليلى)،تحقيق، يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٩ م، ص ١١٧.

إذا ذُكِرَت لَيلى أَنِنُ لِذِكرِها كَما أَنَّ بَينَ العائِداتِ سَقيمُ

عَلَيَّ دِماءُ البُدنِ إِن كانَ حُبُّها عَلى النَأيِ في طولِ الزَمانِ يَريمُ

دَعوني فَما عَن رَأيِكُم كانَ حُبُّها وَلَكِنَّهُ حَظٌّ لَها وَقَسيمُ

إنّ قيسًا واحد من هؤلاء الذين تذوقوا اليأس جرعًا، واصطلوا بنار الحرمان، فلم يجد غير القسم متنفسًا لعاطفته المتقدة، إنها صورة العذاب واللوعة واللهفة في آن واحد (أَنِنُ لذكرها، في طول الزمان يريم، حظ لها وسقيم) مستخدمًا الدم (عليّ دماء البُدن) ليعبّر عن مدى صدق عاطفته .

قائمة المصادر والمراجع:

- جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، ط ٢، ١٩٩٣ م.
- حسان بن ثابت، شرح،عبدأ.مهنّا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ٢، ١٩٩٤م.
- خليل عبد الكريم، الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية، سينا للنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٩ م.
- ديوان الأخطل، شرح، مهدي محمد ناصر الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٩٤م.
- ديوان الفرزدق، شرح، على فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٧ م.
- ديوان النابغة الذّبياني، تحقيق، كرم البُستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٦٣ م.
- ديوان النّمر بن تولب العُكلي، تحقيق، محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠ م.
- ديوان النّمر بن تولب العُكلي، تحقيق، محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠ م.
- ديوان أوس بن حجر، تحقيق، محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠ م.
- ديوان أوس بن حجر، تحقيق، محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠.
- ديوان حُميد بن ثور الهلالي، تحقيق، عبد العزيز الميمني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥١ م
- ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق،علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط ١، ١٩٨٨ م .

- ديوان عمرو بن ربيعة ، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السّعادة، مصر، ط ١، ١٩٥٢ م.
- ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تحقيق، سامي مكي العاني، مكتبة النهضة، بغداد، ط ١، ١٩٦٦ م.
- زكريا إبراهيم، مشكلة الإنسان، مكتبة مصر، القاهرة.
- شعر الخوارج، إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٤م.
- عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ، منشورات جامعة اليرموك ، الأردن ، ط ١ ، ١٩٨٠ م.
- عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية ، تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنّشر، مصر، ط ١، ١٩٩٧ م.
- فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن البكري الرازي، التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) ، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢.
- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، الجامع الصّحيح، تحقيق، محمد زهير النّاصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢ هـ، ج ٥.